بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَحْذِيرُ الْإِمَامِ مِنَ الْإِحْدَاثِ فِي دِينِ الْإِسْلَامِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللهِ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَنْ تبعَ هُدَاهُ؛ أَمَّا بَعْدُ:

فَهَذِهِ جُمْلَةٌ مِنَ الْبِدَعِ الْقَوْلِيَّةِ الَّتِي أَحْدَثَهَا كَثِيرٌ مِنْ أَئِمَّةِ الْمَسَاجِدِ أَثْنَاءَ تَسْوِيَتِهِمْ لِصُفُوفِ الْمُصَلِّينَ[١]:

➡ مِنْهَا: قَوْلُهُمْ: (صَلُّوا صَلَاةَ مُوَدِّعٍ)، وَ: (أَحْضِرُوا بِقُلُوبِكُمْ فِي صَلَاتِكُمْ)، وَ: (اخْشَعُوا فِي صَلَاتِكُمْ)!!!.

قُلْتُ: جَاءَ فِي فَتَاوَى اللَّجْنَةِ الدَّائِمَةِ رَقَم(١٤١١١): "أَمَّا وَعْظُ الْإِمَامِ قَبْلَ التَّكْبِيرِ لِلصَّلَاةِ بِقَوْلِهِ: (صَلُّوا صَلَاةَ مُوَدِّعٍ، أَحْضِرُوا بِقُلُوبِكُمْ فِي صَلَاتِكُمْ، اخْشَعُوا فِي صَلَاتِكُمْ)، وَنَحْوِ ذَلِكَ، فَلَيْسَ هَذَا بِمَشْرُوعٍ؛ بَلْ هُوَ مِنَ الْبِدَعِ!" اهـ.

وَقَالَ الْإِمَامُ ابْنُ عُثَيْمِينَ – رَحِمَهُ اللهُ – فِي اللِّقَاءِ الشَّهْرِيِّ: لَمْ يَرِدْ عَنِ النَّبِيِّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ – أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ لِلنَّاسِ: (صَلُّوا صَلَاةَ مُوَدِّعٍ)؛ بَلْ كَانَ يَأْمُرُهُمْ أَنْ يَسْتَوُوا، وَأَنْ يُقِيمُوا صُفُوفَهُمْ، وَيُبَيِّنُ لَهُمْ أَنَّ تَسْوِيَةَ الصَّفِّ مِنْ تَمَامِ الصَّلَاةِ، وَأَمَّا: (صَلُّوا صَلَاةَ مُوَدِّعٍ)؛ فَلَمْ تَرِدْ عَنِ النَّبِيِّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ –، لَكِنْ وَرَدَتْ عَنْ بَعْضِ الْعُلَمَاءِ فِيمَا كَتَبُوهُ: أَنَّهُ يَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ أَنْ يُتْقِنَ صَلَاتَهُ حَتَّى كَأَنَّهُ يُصَلِّي صَلَاةَ مُوَدِّعٍ؛ لِأَنَّ مَنْ يُصَلِّي صَلَاةَ مُوَدِّعٍ سَوْفَ يُتْقِنُهَا؛ إِذْ أَنَّهُ لَا يَدْرِي: هَلْ يَعُودُ لِلصَّلَاةِ مَرَّةً أُخْرَى، أَوْ لَا يَعُودُ؟ وَأَمَّا أَنْ يَقُولَهَا الْإِمَامُ؛ فَهَذِهِ مِنَ الْبِدَعِ، وَنَنْصَحُ الْإِمَامَ وَنَقُولُ: لَا تَقُلْهَا بَعْدَ هَذَا الْيَوْمِ اهـ.

وَقَالَ – رَحِمَهُ اللهُ – عَنْ قَوْلِ الْإِمَامِ لِلْمَأْمُومِينَ (أَحْضِرُوا قُلُوبكُمْ لِلصَّلَاةِ): هَذِهِ لَمْ تَرِدْ، وَلَا يَنْبَغِي أَنْ يَقُولَهَا؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ أَبْلَغَ نُصْحًا لِلْعِبَادِ مِنْ رَسُولِ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –، وَفِي الصَّحَابَةِ مَنْ لَا يَحْضُرُ قَلْبُهُ فِي الصَّلَاةِ؛ وَلِذَا شَكَى رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أَنَّهُ لَا يَحْضُرُ قَلْبُهُ فِي الصَّلَاةِ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –: «ذَاكَ شَيْطَانٌ يُقَالُ لَهُ خَنْزَبٌ» – أَيِ: الَّذِي يَأْتِي النَّاسَ فِي الصَّلَاةِ يُوَسْوِسُ عَلَيْهِمْ– «فَإِذَا أَحْسَسْتَ بِهِ فَاتْفُلْ عَنْ يَسَارِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، وَاسْتَعِذْ بِاللهِ مِنْهُ» قَالَ: فَفَعَلْتُ؛ فَأَذْهَبَهُ اللهُ عَنِّي.

لَوْ قَالَ قَائِلٌ: الرَّسُولُ – عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ – خَلْفَهُ صَحَابَةٌ لَا تَغِيبُ قُلُوبُهُمْ، وَأَنَا خَلْفِي أُنَاسٌ مَشْغُولُونَ بِالدُّنْيَا تَغِيبُ قُلُوبُهُم، فَأَقُولُ لَهُمْ: (احْضِرُوا قُلُوبكُمْ) لِهَذَا السَّبَبِ!! نَقُولُ لَهُ: أَوَّلًا: أَنْتَ لَمْ تُفَتِّشْ عَنْ قُلُوبِهِمْ، ثَانِيًا: أَنَّ الصَّحَابَةَ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ – فِيهِمْ مَنْ يَغِيبُ وَيَشْتَغِلُ قَلْبُهُ، وَمَعَ ذَلِكَ مَا كَانَ الرَّسُولُ يَقُولُ: (أَحْضِرُوا قُلُوبكُمْ) اهـ [لقاء الباب المفتوح].

➡ وَمِنْهَا: قَوْلُهُمْ: (إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى الصَّفِّ الْأَعْوَجِ)!.

قُلْتُ: جَاءَ فِي فَتَاوَى اللَّجْنَةِ الدَّائِمَةِ رَقَم(١٦٧٤٤): "هَذَا اللَّفْظُ فِي تَسْوِيَةِ الصُّفُوفِ: (إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى الصَّفِّ الْأَعْوَجِ) مُشْتَهِرٌ عَلَى الْأَلْسِنَةِ؛ وَهُوَ لَا أَصْلَ لَهُ عَنِ النَّبِيِّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –[٢]، فَلَا يُشْرَعُ أَنْ يُقَالَ لِتَسْوِيَةِ الصُّفُوفِ

---

[١] اعْلَمْ – هَدَانِي اللهُ وَإِيَّاكَ إِلَى الْحَقِّ – أَنَّ تَسْوِيَةَ الصُّفُوفِ عِبَادَةٌ سَنَّهَا لَنَا رَسُولُ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –، وَمِنَ الْقَوَاعِدِ الْمُتَّفَقِ عَلَيْهَا عِنْدَ الْعُلَمَاءِ: "أَنَّ الْأَصْلَ فِي الْعِبَادَاتِ الْمَنْعُ، وَأَنَّهُ لَا يَجُوزُ لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَتَعَبَّدَ لِلَّهِ بِأَيِّ عَمَلٍ مِنَ الْأَعْمَالِ – قَوْلِيٍّ أَوْ فِعْلِيٍّ –، وَبِأَيِّ عَقِيدَةٍ مِنَ الْعَقَائِدِ – إِثْبَاتًا أَوْ نَفْيًا –، إِلَّا بِإِذْنٍ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ، لَا يُمْكِنُ أَنْ يَتَعَبَّدَ الْإِنْسَان عِبَادَةً إِلَّا إِذَا عَلِمْنَا أَنَّهَا مَشْرُوعَة، فَالْأَصْلُ فِي الْعِبَادَاتِ: الْمَنْعُ؛ حَتَّى يَقُومَ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهَا مَشْرُوعَةٌ، أَيّ إِنْسَانٍ يَتَعَبَّد عِبَادَة لَا نَعْرِفُهَا؛ نَقُولُ: يَا أَخِي! اصْبِرْ، هَذَا حَرَامٌ! إِذَا قَالَ: مَا الدَّلِيلُ؟ نَقُولُ: الدَّلِيلُ عَلَيْكَ أَنْتَ، أَنْتَ الَّذِي تُثْبِتُ أَنَّ هَذِهِ مَشْرُوعَة، وَإِلَّا: فَإِنَّهَا مَرْدُودَةٌ بِقَوْلِ النَّبِيِّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –: «**مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا؛ فَهُوَ رَدٌّ**».

نَحْنُ لَا نَقُولُ لَكَ مَرْدُودَة مِنْ أَنْفُسِنَا، نَقُولُ بِقَوْلِ الرَّسُولِ – عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ –. أَفَهِمْتَ يَا أَخِي؟! خُذْ هَذِهِ قَاعِدَة" [لِقَاءُ الْبَابِ الْمَفْتُوحِ؛ لِلْإِمَامِ ابْنِ عُثَيْمِينَ].

[٢] سُئِلَ الْإِمَامُ الْأَلْبَانِيُّ – رَحِمَهُ اللهُ – عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ؛ فَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ أَعْوَجُ! لَا أَصْلَ لَهُ فِي السُّنَّةِ [سِلْسِلَةُ الْهُدَى وَالنُّورِ، شَرِيط رَقَم(٦٤٢)].

بِهِ، وَيُكْتَفَى بِمَا ثَبَتَ عَنِ النَّبِيِّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فِي ذَلِكَ، مِثْلَ قَوْلِهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –: «اسْتَوُوا» .. «اعْتَدِلُوا»، وَنَحْوِهِمَا اهـ.

➡ وَمِنْهَا: قَوْلُهُمْ: (اسْتَقِيمُوا)!

قُلْتُ: قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ عُثَيْمِينَ – رَحِمَهُ اللهُ – فِي مَجْمُوعِ الْفَتَاوَى(٣٥٧/١٦): وَأَمَّا قَوْلُ بَعْضِ الْأَئِمَّةِ: (اسْتَقِيمُوا)؛ فَإِنَّ هَذِهِ لَا أَصْلَ لَهَا، وَلَمْ تَرِدْ عَنِ النَّبِيِّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –، وَقَدْ بَحَثْتُ عَنْهَا وَسَأَلْتُ بَعْض الْإِخْوَانِ أَنْ يَبْحَثُوا عَنْهَا؛ فَلَمْ يَجِدُوا لَهَا أَصْلًا عَنِ النَّبِيِّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: (اسْتَقِيمُوا)!.

وَلَا وَجْهَ لِقَوْلِهِ: (اسْتَقِيمُوا)؛ لِأَنَّ الْمُرَادَ بِقَوْلِهِ: (اسْتَقِيمُوا) يَعْنِي: عَلَى دِينِ اللهِ، وَلَيْسَ هَذَا مَحَلَّهُ؛ لِأَنَّ هَذَا مَحَلُّ أَمْرِ النَّاسِ بِإِقَامَةِ الصُّفُوفِ فِي الصَّلَاةِ، فَالْمَشْرُوعُ أَنْ يَقُولَ: أَقِيمُوا صُفُوفَكُمْ .. سَوُّوا صُفُوفَكُمْ .. وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ اهـ.

➡ وَمِنْ أَقْوَالِهِمُ الْمُحْدَثَةِ الَّتِي يَقُولُونَهَا: (اسْتَوُوا يَرْحَمُنِي وَيَرْحَمُكُمُ اللهُ!)، (الْكَعْبُ بِالْكَعْبِ وَالْكَتِفُ بِالْكَتِفِ يَسْتَوِي الصَّفُّ!)، (اسْتَوُوا وَاعْتَدِلُوا أَثَابَنِي وَأَثَابَكُمُ اللهُ!!)، (رَحِمَ اللهُ مَنْ سَوَّى نَفْسَهُ!!).

قُلْتُ: فَكُلُّ هَذَا وَأَمْثَالُهُ، لَمْ يَقُلْهُ رَسُولُ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –، وَخَيْرُ الْهَدْيِ؛ هَدْيُ مُحَمَّدٍ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –.

وَيَجْدُرُ بِي فِي هَذَا الْمَقَامِ أَنْ أَذْكُرَ مَا حَضَرَ لِي مِنَ الْأَلْفَاظِ الْوَارِدَةِ الثَّابِتَةِ فِي تَسْوِيَةِ الصُّفُوفِ:

١– «اسْتَوُوا، اسْتَوُوا، اسْتَوُوا» [صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ] ٢– «أَقِيمُوا صُفُوفَكُمْ وَتَرَاصُّوا» [رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ] ٣– «سَوُّوا صُفُوفَكُمْ؛ فَإِنَّ تَسْوِيَةَ الصَّفِّ مِنْ تَمَامِ الصَّلَاةِ» [رَوَاهُ مُسْلِمٌ] ٤– «سَوُّوا صُفُوفَكُمْ؛ فَإِنَّ تَسْوِيَةَ الصُّفُوفِ مِنْ إِقَامَةِ الصَّلَاةِ» [رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ] ٥– «أَقِيمُوا الصَّفَّ فِي الصَّلَاةِ؛ فَإِنَّ إِقَامَةَ الصَّفِّ مِنْ حُسْنِ الصَّلَاةِ» [مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ] ٦– «رُصُّوا صُفُوفَكُمْ، وَقَارِبُوا بَيْنَهَا، وَحَاذُوا بِالْأَكْتَافِ»، وَفِي رِوَايَةٍ: «وَحَاذُوا بِالْأَعْنَاقِ» [صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ] ٧– «اسْتَوُوا، وَلَا تَخْتَلِفُوا، فَتَخْتَلِفَ قُلُوبُكُمْ، لِيَلِنِي مِنْكُمْ أُولُو الْأَحْلَامِ وَالنُّهَى ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ» [رَوَاهُ مُسْلِمٌ] ٨– «لَا تَخْتَلِفُوا فَتَخْتَلِفَ قُلُوبُكُمْ»[صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ] ٩– «لَا تَخْتَلِفْ صُفُوفُكُمْ فَتَخْتَلِفَ قُلُوبُكُمْ، إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى الصَّفِّ الْأَوَّلِ» [صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ] ١٠– «أَقِيمُوا الصُّفُوفَ، فَإِنَّمَا تَصُفُّونَ بِصُفُوفِ الْمَلَائِكَةِ، وَحَاذُوا بَيْنَ الْمَنَاكِبِ، وَسُدُّوا الْخَلَلَ، وَلِينُوا فِي أَيْدِي إِخْوَانِكُمْ، وَلَا تَذَرُوا فُرُجَاتٍ لِلشَّيْطَانِ، وَمَنْ وَصَلَ صَفًّا؛ وَصَلَهُ اللهُ – تَبَارَكَ وَتَعَالَى –، وَمَنْ قَطَعَ صَفًّا؛ قَطَعَهُ اللهُ – تَبَارَكَ وَتَعَالَى –» [صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ] ١١– «أَتِمُّوا الصَّفَّ الْمُقَدَّمَ، ثُمَّ الَّذِي يَلِيهِ، فَمَا كَانَ مِنْ نَقْصٍ؛ فَلْيَكُنْ فِي الصَّفِّ الْمُؤَخَّرِ» [صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ]

وَإِذَا رَأَى الْإِمَامُ تَهَاوُنًا مِنْ بَعْضِ الْمَأْمُومِينَ فِي تَسْوِيَةِ الصُّفُوفِ؛ قَالَ:

١٢– «أَقِيمُوا صُفُوفَكُمْ، أَقِيمُوا صُفُوفَكُمْ، أَقِيمُوا صُفُوفَكُمْ، وَاللهِ! لَتُقِيمُنَّ صُفُوفَكُمْ، أَوْ لَيُخَالِفَنَّ اللهُ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ!!»[صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ] أَوْ يَقُول: ١٣– «عِبَادَ اللهِ! لَتُسَوُّنَّ صُفُوفَكُمْ، أَوْ لَيُخَالِفَنَّ اللهُ بَيْنَ وُجُوهِكُمْ!!» [رَوَاهُ مُسْلِمٌ].

وَبَعْدُ؛ هَذَا مَا تَيَسَّرَ لِي جَمْعُهُ فِي هَذِهِ الْعُجَالَةِ، وَاللهَ أَسْأَلُ أَنْ يَجْعَلَ عَمَلِي – هَذَا – خَالِصًا لِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ، وَأَنْ يَنْفَعَ بِهِ كَاتِبَهُ وَقَارِئَهُ، وَجَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ.

وَسُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ.

وَكَتَبَ: أَحْمَدُ بْنُ طَلِيلٍ أَبُو الْفِيتَةِ – أَبُو حَمْزَةَ –
– عَفَا اللهُ عَنْهُ –